القمح كمدخل للنهوض بالحبوب فى الوطن العربى

الاستاذ الدكتور هلال السيد الحطاب
الدكتور فوزى فتحى سعد
جامعة القاهرة - كلية الزراعة - قسم المحاصيل

تعتبر الحبوب من أهم مصادر الطاقة فى غذاء المواطن العربى حيث تمثل الحبوب حوالى ٥٠٪ من مصادر الطاقة فى معظم الاقطار العربية كما توضحه النتائج فى جدول (١) والتى تمثل نسبة ماتمثله الحبوب من مصادر الطاقة ومن خلال تلك البيانات فإننا نجد أن الحبوب تمثل حوالى ٥٠٪ من مصادر الطاقة فى كل من - البحرين - تونس - السعودية - السودان - سوريا - الصومال - والعراق - وعمان - لبنان وحوالى ٦٥٪ من كل من السعودية وجيبوتى بل وتصل الى حوالى ٧٠٪ فى مصر واليمن وفى دولة كالكويت وهى من اكبر الدول التى تعتمد على تصدير البترول ومستوى المعيشة فيها ربما يسمح بالاعتماد فى التغذية على المصادر الأخرى الحيوانية فى الحصول على الطاقة الا اننا نجد أن الحبوب أيضا تمثل حوالى ٤٨٪ من مصادر الطاقة بها .

ومما يجدر الاشارة اليه أن الوطن العربى يعتمد بصورة رئيسية على كل من القمح والأرز لذلك عملت الدول العربية على النهوض بنوع الحبوب الذى تزرعه ولاشك بأن القمح هو المحصول السائد بين الحبوب الغذائية فى الوطن العربى نظرا لامكانية زراعته فى المناطق المطرية والمناطق الاروائية .

وفضلا عن ذلك فإننا نجد أن معدلات الاكتفاء الذاتى من الحبوب الغذائية فى الوطن العربى هبطت خلال السنوات الأخيرة فمن خلال جدول (٢) نلاحظ أن نسبة الاكتفاء الذاتى إنخفضت من ٧٠٪ إلى ٤٦٪ خلال الفترة من ١٩٧٠ إلى ١٩٨٤ كما توضح البيانات الانخفاض الذى حدث فى نسبة الاكتفاء الذاتى فى كل محصول . وعموما فالاكتفاء الذاتى وانخفاض نسبته فى الوطن العربى هو نتيجة لعوامل كثيرة ربما لاذنب فى معظمها اواهمها لا للزراعيين الباحثين ولا الفلاحين المنتجين وذلك لأنها تتعلق بمعدلات استهلاك عاليه وعدد مستهلكين يتضاعف بسرعة غير ملحوقة . جدول (٣) يوضح معدل الاستهلاك السنوى فى الوطن العربى بين محاصيل الحبوب المختلفة ويظهر بصورة جلية أن الاستهلاك من القمح السائد على كل المحاصيل .

وبالرغم من تلك العوامل السابقة فإنه يسهم فى انخفاض معدلات الاكتفاء الذاتى أيضا إنخفاض معدل الإنتاجية من وحدة المساحة بالمقارنة بالمتوسطات العالمية أو فى بعض الدول المتقدمة مثل الولايات المتحدة وأوربا فمثلا إن إنتاجية القمح فى الوطن العربى حوالى ٥٠٪ من الانتاجية من وحده المساحة فى الولايات المتحدة وحوالى ٢٨٪ من الانتاجية فى اوروبا جدول (٣) وربما يعود ذلك إلى أن معظم المساحات التى تنزرع بالقمح فى بعض الدول مثل سوريا والعراق تكون فى المناطق المطرية والتى يكون معدل الامطار بها ليس بالقدر الكافى لانتاج القمح بمعدلاتها الطبيعية العالية .

وقد اتضح من تقرير البنك الدولى عن مستوردات العالم العربى من المواد الغذائية فى عام ١٩٨٥ أن القمح يشكل النصيب الأكبر فيها حيث يقدر المستورد منه بملايين الاطنان بما يحمل

ميزانيات الدول مبالغ طائلة فمثلا كانت كمية المستورد من القمح بمصر حوالى ٧ مليون طن سنويا يليها الجزائر حوالى ٤ مليون طن ثم العراق ٢,٥ مليون طن وكل من سوريا والاردن ولبنان واليمن وتونس وليبيا مايتراوح تقديره بحوالى ٠,٥ ـ ١ مليون طن قمح سنويا لكل دولة مما يكلف ميزانيات الدول بما يوازى ١٠٠ ـ ١٤٠٠ مليون دولار مما يجعل كثيرا من الدول العربية تلجأ للقروض وطلب المعونات مما يجعلها ترتبط بالدول ذات الفائض وعمل نوع من الاتفاقيات التى قد تضر مستقبل الوطن العربى لذا فمن الجدير بالذكر إستعراض الحالة الانتاجية للقمح فى الدول التى تزرع مساحات كبيرة للتعرف على أهمية النهوض بمستوى الانتاجية فى معظمها إن لم يكن فى جميعها حيث أن مستويات الانتاجية تعتبر متواضعة إذا ماقورنت بالمستويات العالمية أو الدول الغربية وعلى سبيل المثال نجد أن متوسط الانتاجية فى مصر منتصف الثمانينات حوالى ٣٧٦٣ كجم / هكتار كما هو واضح فى جدول (٤) وتأتى السودان فى المرتبة الثانية بمتوسط ١٦٤٦ كجم/ هكتار وكلا الدولتين يعتمد فى زراعة القمح فى المناطق الاروائية على مياه الرى حيث لم تكن مصر قد ادخلت بعد فى تلك الفترة المساحات الجديدة التى اضافتها مؤخراً وتروى بالامطار .

ثم تلى سوريا بمتوسط إنتاجية ١,٤٥٦ كجم / هكتار ثم تونس ١٣٥٥ كجم/ هكتار والمغرب ١٢٥١ كجم/ ولبنان ١٠٦٠ كجم/ هكتار ويرجع هذا الانخفاض النسبى فى الانتاجية الى أن معظم المساحة المنزرعة بالقمح فى هذه الدول تعتمد على الامطار والتى تكون معدلاتها غير مستقرة عند الحدود المثلى على مدار موسم انتاج القمح .

وبناء على ماتقدم فإن الدول العربية تسعى للنهوض بانتاج الحبوب متبعة فى ذلك ماظهر من نتائج علمية فى المجالات الاتية .

أولا : محاولات استنباط أصناف جديدة توافق الظروف البيئية السائدة فى مناطق الانتاج .

من الملاحظ انه فى معظم الدول العربية إن لم يكن فى جميعها فإن الفلاح يتمسك بما لديه من أصناف قديمة والتى اختبرت علميا فى سنوات طويلة وفى بعض الدول يقوم بزراعة المساحات المطرية مستثمرون يملكون الات الخدمة والزراعة ولايرجعون لزراعتهم الا وقت الحصاد وغالبا ماكانت الاصناف المستنبطة عالية الانتاجية تستورد من الخارج ومن الصعب استقرار وجودها فى هذه الحالة لذلك تنتشر اصناف قديمة مثل صابر بيك والعجيبه وغيرها فى العراق وكذلك نجد بحوراتى لينتشر فى سوريا وربما يكون للفلاح القدر فى التمسك بما لديه من تقاوى قديمة نظرا لأن عمليات الاكثار لتقاوى الاصناف الجديدة ومحاولة نقاوتها من الغريبة فضلا عن الاختبارات التى تجرى لضمان خلوها من مسببات الامراض أو الافات وارتفاع نسبة انباتها كل هذه الاجراءات تحتاج الى تكاليف كبيرة بجانب مصاريف العبوات والتعبئة والنقل مما يجعل ثمن التقاوى الجيدة الجديدة والمعدة بهذا الاسلوب أغلى من ثمن التقاوى العادية الباقية من محصول العام السابق أو المتداولة بين المزارعين لذلك نجد أن معظم المزارعين يقدمون على استخدام الارخص غير عابئين بالخسارة التى تنجم بالنسبة للمزارع والوطن من عدم الاستفادة بالزيادة فى متوسط المحصول وجودة المنتج بعدم استخدام الاصناف الجديدة مما يساهم فى خفض متوسط الانتاجية على مستوى القطر والإيضاح أهمية الاصناف ومدى تأثيرها على رفع الانتاجية نعرض تجربة مصر فى مجال إنتاج القمح حيث تطور معدل انتاج الهكتار خلال الثلاثين عاما الاخيرة بصورة متزايدة كما توضح ذلك البيانات فى الجدول (٣) ففى خلال الفترة ٦٢ـ١٩٧٢ كان المتوسط ٢,٦٧ طن / هكتار وزاد الى ٣,٣٧ طن / هكتار خلال الفترة (٧٣ـ ١٩٨٣) بينما كان متوسط الانتاجية فى العشر سنوات الاخيرة(٨٣ ـ ١٩٩٣) كانت الانتاجية ٤,٦٣ طن/ هكتار .

ومما يجدر الاشارة اليه ان تطور الانتاجية فى مصر خلال الفترة المشار اليها واكب استنباط الاصناف الجديدة على أسس علمية وبرامج تربية . كما اتجهت مصر خلال الثمانينات للنهوض . بالقمح بصورة خاصة وذلك فى اتجاهين .

* الاتجاه الأول : زيادة المساحة المخصصة لزراعة القمح على حساب الشعير والبرسيم بالاضافة الى بعض المناطق فى الاراضى الجديدة وكان من المنتظر ان لاتتطور الانتاجية للهكتار لأن

المساحة المضافة تشوبها عوامل معاكسة فى التربة ومياه الرى ولاسيما فى المساحات الموجودة فى سيناء والساحل الشمالى كاراضى مطرية ولان معدلات الامطار فى تلك المناطق اقل كثيرا عما يجب توفره لانتاج القمح .

* الاتجاه الثانى : هو التركيز فى برامج التربية لاصناف القمح عالية الانتاج والذى يتواءم مع الظروف العامة فيها او مع ظروف خاصة مما ادى الى زيادة معدل الانتاجية وقد حققت تلك الجهود فى الاتجاهين الى زيادة فى متوسط المحصول تتراوح بين ٠,٣ ـ ٠,٦ طن للهكتار فى الفترة (٨٤ ـ ١٩٨٦) عن المتوسط فى العام السابق لها وفى الفترة من (٨٧ ـ ١٩٨٩) والتى زادت فيها المساحة من ٧٧ إلى ١٤٤ الف هكتار صاحب ذلك زيادة فى معدل الانتاج حوالى ١,٢ طن هكتار وتلا ذلك فى الفترة من ١٩٩٠الى ١٩٩٣ زيادة فى المساحة قدرها حوالى ٢٥٠ الف هكتار وزاد معدل الانتاج حوالى ٠,٤ طن للهكتار وهذه الزيادة فى المساحة ومعدل الانتاج ادى الى زيادة فى الانتاج الكلى خلال العشر سنوات الاخيرة حوالى ٢,٨ مليون طن سنويا .

ثانياً التسميد :

ادخلت الاسمدة الازوتية الصناعية فى الزراعة اوائل العشرينات . وكان استعمالها بحذر حيث كانت الاصناف المزروعة من الحبوب تميل الى الرقاد وكان اعتماد المزارعين فى الوطن العربى على الاسمدة العضوية ثم تطورت صناعة الاسمدة فى دول اوربا واخذت تظهر كميات فائضة للتصدير من الدول الأوربية الى الوطن العربى فأدى ذلك إلى الاهتمام بإضافة الاسمدة الأزوتية خصوصا فى تسميد القمح وغيره من المحاصيل وقد وضح فى السنوات الاخيرة أن إستجابة النباتات للسلالات المختلفة تختلف فى قدرتها على إمتصاص العناصر والاستفادة منها وزيادة الانتاج . وقد ساعد المربون باستنباط اصناف تستجيب لمعدلات سادية عالية مما أمكن الاستفادة بهذه الاسمدة وقد تم ذلك فى انجلترا والمانيا والولايات المتحدة واصبحت نظرية الاعتماد على الاسمدة الازوتية وغيرها احد العوامل الهامة فى النهوض بإنتاجية المحاصيل فاعتمدت الدول العربية على إنشاء مصانع الاسمدة مع بداية الخمسينات ثم تعددت المصانع فى الفترة التى تلتها فأصبح من الميسور تداولها والاستفادة منها فى رفع الانتاجية واصبحت البحوث التى تهتم بتأثيرها الاسمدة (نوعا وكما) على الانتاج والانتاجية تسير بجانب بحوث وبرامج تربية الاصناف حيث أن كل صنف أو مجموعة من الاصناف لها استجابتها الخاصة للعناصر السمادية حيث تحدد المعدلات السمادية التى عندها الصنف يعطى الانتاجية المربى لها .

وهناك عوامل أخرى كثيرة يجب مراعاتها عند النهوض بإنتاج الحبوب ولاتقل أهمية عن العاملين السابقين ومنها الاهتمام بإعداد الأرض والالتزام بمواعيد الزراعة والحصاد المناسبة وكذلك استخدام الميكنة كما يجب مراعاة تجنب كل عوامل الفقد فى مراحل الانتاج المختلفة أو عند النقل والتخزين .

واخيراً يمكن عرض بعض النقاط الهامة باختصار فى مجال الاهتمام والنهوض بإنتاج الحبوب فى الوطن العربى .

ـ الاهتمام ببرامج التربية فى المناطق المختلفة من الوطن العربى وفتح افاق انتشار بعض الاصناف والسلالات التى اثبتت درجة عالية من الثبات فى الانتاجية المرتفعة لعل منها ماينا سب الظروف البيئية فى دولة أخرى من الدول العربية .

ـ يجب تسهيل تبادل المعلومات بين الفنيين والباحثين والعلميين فى المجال الزراعى حتى تكون البحوث العلمية والبرامج الارشادية متكاملة من ناحية الدراسة الوافية للعوامل المختلفة التى تؤثر على زيادة المحصول .

ـ الاهتمام بإكثار البذور للاصناف المتفوقة حتى تغطى المساحة المستهدف زراعتها بكل منطقة .

- إستخدام الاساليب الحديثة فى الانتاج والمناسبة للمناطق الاروائية والمطرية للمحافظة على المحصول الناتج وامكانية تسويقة داخليا او تبادله بين الاقطار العربية .

- الاهتمام بالبرامج الارشادية التى تناسب المزارع العربى حتى تتواكب نواتج البحوث الجيدة مع التطبيق الشامل والامثل لها لتحقيق الناتج العالى وهو المستهدف الاخير .

جدول رقم (١)
النسبة المئوية للحبوب من الطاقة (كالورى)
فى الاقطار العربية

القطر	النسبة المئوية للحبوب
الاردن	٦٤
الامارات	٤٣
البحرين	٥٤
تونس	٥٢
الجزائر	٦٠
جيبوتى	٦٥
السعودية	٦٦
السودان	٥٩
سوريا	٥٧
الصومال	٥٣
العراق	٦١
عمان	٥٩
قطر	٥١
الكويت	٤٨
لبنان	٥٧
ليبيا	٤٨
مصر	٦٩
المغرب	٦٧
موريتانيا	٥٨
اليمن الشمالية	٧٥
اليمن الجنوبية	٦٣

المصدر : المنظمة العربية للتنمية الزراعية : مستقبل اقتصاد الغذاء فى الدول العربية (١٩٧٥-٢٠٠٠) ، الخرطوم ، ودراسة مسار اقتصاد الغذاء فى الدول العربية ، ١٩٨٠ . والتقرير الشامل ، ١٩٨٣ .

جدول رقم (٢)
المساحات المطلوبة لمقابلة الاستهلاك العربى من الحبوب

المادة	معدل الاستهلاك بالمليون طن للفتـــرة ١٩٨٠ـ ١٩٨٤	معدل الانتاجية (كغم / للهكتار)	المساحة المطلوبة لانتاج الكمية المستهلكة بالمليون هتكار
ـ القمح	٢٦,٠	١٣١	٢٣,٠
ـ الشعير	٨,٨	٧٢٠	١٢,٠
ـ الذرة الصفراء	٧,٥	٢٦١٦	٣,٠
ـ الارز	٤,٠	٥١٣٢	٠,٨
ـ اخرى	٤,٠٢	٦٧٢	٦,٠
المجموع	٥٠,٥		٤٤,٨

جدول رقم (٣)
معدلات الانتاج العالمية والعربية للحبوب وكذلك نسبة الاكتفاء الذاتى والمساحة المطلوبة لمقابلة الاستهلاك فى الوطن العربى

المحصول	معدل الانتاجية طن/ هكتار ١٩٨٤ العالم	الولايات المتحدة	اوروبا الغربية	الوطن العربى	معدل الاستهلاك العربى مليون / طن /للسنة	نسبة الاكتفاء الذاتي العربى	المساحة المطلوبة للاكتفاء الذاتى مليون هكتار
القمح	٢,٠٤	٢,٤٣	٤,١١	١,١٣	٢٦	٣٤	٢٣,٠
الشعير	٢,٠٦	٢,٨٦	٣,٦٤	٠,٧٢	٨,٨	٤٦	١٢,٠
الذرة الصفراء	٣,٣٠	٦,٣٨	٥,٤٢	٢,٦٢	٧,٥	٥٠	٣,٠
الأرز	٢,٩٨	٥,٢٦	٥,٥٠	٥,١٣	٤,٠	٥٦	٠,٨

المصدر : إحتسبت من الارقام الرسمية الواردة فى كتب منظمة الاغذية والزراعة الدولية ، روما وهى كتاب الانتاج السنوى وكتاب التجارة السنوى للاعوام ١٩٨٢ ، ١٩٨٤ .

جدول رقم (٤)
انتاج القمح والمساحات التى يشغلها وإنتاجيته فى الاقطار العربية ١٩٧٩ ـ ١٩٨٥

القطـــر	المساحة (الف هكتار)				الانتاجية (كيلو جرام لكل هكتار)				الانتاج (الف طن متري)			
	١٩٧٩ ـ ٨١	١٩٨٣	١٩٨٤	١٩٨٥	١٩٧٩ ـ ٨١	١٩٨٣	١٩٨٤	١٩٨٥	١٩٧٩ ـ ٨١	١٩٨٣	١٩٨٤	١٩٨٥
الجزائر	١٩٤٣	١٤٠٢	١٨٥٧	٢٢٠٠	٦٥٤	٥٦٤	٦٤٦	٧٥٠	١٢٧٠	٧٩٠	١٢٠٠	١٦٥٠
مصر	٥٥٧	٥٥٥	٤٩٥	٤٩٨	٣٢٢٨	٢٦٠٠	٣٦٦٧	٣٧٦٣	١٨٦٤	١٩٩٦	١٨١٥	١٨٧٤
ليبيا	٢٥١	٢٤٨	٢٥٧	٢٧٤	٤٩٧	٨٤٦	٧١٥	٥٤٦	١٢٥	٢١٠	١٨٤	١٤٩
موريتانيا	—	—	—	١	٥٦٨	٦٩٦	١٠٠٠	٦٧٦	—	—	١	—
المغرب	١٦٧٣	١٨٥٦	١٨٥٦	١٩١٩	٨٩٧	١٠٦٢	١٠٧٢	١٢٥١	١٥٠٠	١٩٧٠	١٩٨٩	٢٤٠٠
الصومال	٤	٤	٤	٤	٣٣٤	٣٦١	٣٦١	٣٦١	١	١	١	١
السودان	٢٠٦	١٣٠	١٤٧	٤٨	١٠٠٠	١٠٨٥	١١٥٠	١٦٤٦	٢٠٦	١٤١	١٦٩	٧٩
تونس	٨٨٧	٩٣٠	٩٠٠	١٠٢٣	٩٤٤	٦٦٥	٧٩٠	١٣٥٥	٨٣٧	٦١٨	٧١١	١٤٠٠
قطاع غزة	١	١	١	١	٢٩٩٣	٣٠٠٠	٢٧٠٦	٢٧٠٦	٢	٣	٢	٢
العراق	٤٢١٥	١٩٩١	٤٩٣	١٠٠٠	٧٠٣	٧٠٦	٩٥٦	٦٥٠	٨٥٤	٨٤١	٧٤١	٦٥٠
الأردن	١١١	١١١	٦٤	٩٤	٦٠٥	١٠٤٥	٧٧٤	١٠٦٠	٦٧	١١٦	٥٠	١٠٠
لبنان	٢٦	١٧	١٥	١٤	١٢٦٠	١١٧٦	١٢٠٠	١٠٧١	٢٢	٢٠	١٨	١٥
عمان	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	١	١
السعودية	٧١	٢٢٨	٤٠٤	٥٥٠	٢٢٥٤	٣٠٧٣	٣٤٦٩	٣٠٩١	١٦٠	٨٨٥	١٤٠٢	١٧٠٠
سوريا	١٣٨٣	١٢٩٠	٨٠٨	١١٤٦	١٣٥٨	١٢٤٩	١٣٢١	١٤٩٦	١٨٧٨	١٦١٢	١٠٦٨	١٧١١
اليمن الشمالى	٦٥	٦١	٦٠	٦٠	١٠٠٨	٥٥٧	٦١٧	٦٦٧	٦٥	٣٤	٣٧	٤٠
اليمن الجنوبى	١٢	١٠	١٠	١٠	١٦٢٥	١٥٠٠	١٥٠٠	١٥٠٠	٢٢	١٥	١٥	١٥
المجموع	٨٤٢٦	٨٠٩٤	٧٣٧٢	٨٨٥٢	١١٠,٣	٢٨,٤	١٤٢,١	١٥٠,١	٨٨٨٣	٩٢٥٣	٩١٣٤	١١٧٩٠
العالم	٢٣٥٢١٧	٢٣٠٩١٠	٢٢١٥٦١٠	٢٣٠٦٢	١٨٨٣	٢١٤٦	٢٤٦١	٢٢١٧	٤٤٣١٦٧	٥٠٤٧٣٧	٥٢٣١٤٧	٥١٠٠٢٩
نصيب الوطن العربى بالنسبة للعالم	٣,٥	٣,٥	٣,٢	٣,٨	٦٤,٢	٦٨,٤	٦٦,٩	٦٩,٩	٢	١,٨	١,٧	٢,٣

F. A. O. produclion Yearbok, 1985, PP. 110 - 111.